

الحرب والليل في شعر أصحاب المعلقات Narration of War and Night in Verses of Composers of the Mu'allaqat

د. تميم فاخوري

أستاذ في كلية الآداب،

قسم اللغة العربية، جامعة كافكاس، تركيا

Abstract

The invasion and fighting mainly occupied the ancient Arabic poets, reflecting the reality of their lives. Their poetry of war has been categorized within a broad context whose title is enthusiasm, which is associated with pride -since in most cases; the poets did not describe their fighting, except when they were full of the ecstasy of victory and the motives of heroism and knighthood. This poetry is characterized by truth and power because the poets themselves were knights who participated in fighting, so they conveyed real descriptions and lived real experiences, which they expressed in their poetry, even though there was often some exaggeration in their expression.

The motives of fighting were numerous and were suitable for their social and natural environment, because they used to compete for rangeland for their animals and the water resources. Sometimes wars were started for reasons of honour and dignity.

Dr. Almahasni said: "If a lover kidnapped his beloved, her family was inflicted with disgrace, and quickly proceeded to have revenge and to erase the disgrace. A battle was going to be started between the two parties and with it more vehement events and revenges. For giving help to the one who needed help or was forsaken, were enough reasons to start a battle for the sake of making a shelter for him. It happened that the killer resorted to the parent of the murdered, even though they did not know each other. If the father learned about the incident he declared the lawfulness of killing for dignity and honour. They waged war for a right abused or deceit pre-mediated... They did not bury out of anger and never washed the remains of killings, if they had a feeling of being offended. Paying money to the family of the deceased was not but for stopping tears, and appeasing the weak people, but revenge was a slogan for wars.

The time of fighting was night, and day, as numerous poetic evidence include. They preferred, however in their routine invasions to go to their enemy by night not to be discovered, and because they could not invade in the hot weather, since there was no one who could cross the islands, because of the far distance and extreme heat.

The researcher seeks to understand the intersection between the night and the battle conditions in poetry, through the collections of the authors of the Mu'allaqat, from the moment of setting the intention for it and preparing for it, then to the ride towards it at night. The researcher then moves on to the circumstances of the night battles, and the results they led to, including two contradictory states: victory and heroism and defeat, and death and pain; and the condition of the knights from the

poet's people or those who praised him, as they returned or arrived to their homes crowned with victory.

البحث

يظل الشعر العربي القديم مرآة مهمة لواقع الحياة العربية وذلك بالعودة إلى تراثها وجذورها من خلاله، وهو ما زال مثار دراسات متنوعة اجتماعية فضلاً عن الدراسات الأدبية. وكان من أهم أغراض الشعر آنذاك الحماسة إذ عبر من خلالها عن جانب من أخصّ أحوال الحياة البدوية، فكان القتال من طبيعة تلك الحياة قبل الإسلام، وقد كانوا يتقاتلون في الليل كما يتقاتلون بالنهار، تدل على ذلك الشواهد الشعرية الكثيرة، لكن المفضل لديهم في الغزوات التقليدية أن يسيروا إلى عدوّهم بالليل حتى لا يشعر بأمرهم، ولصعوبة السير في القبط، لبعد المسافات وشدة الحرّ.

وإذا كان القتال في الصباح فإن المهاجمين غالباً ما يرتدون إلى طريق العودة من حيث أتوا آخر النهار؛ فيكون مسيرهم ليلاً، وربما كان وصولهم إلى ديارهم تحت جنح الظلام، ويرحلون في العادة محمّلين بالغنائم والأسرى والسبايا. وتكون غزوتهم مبعثاً لقريحة الشاعر أو الشعراء في القبيلة، وهؤلاء في كثير من الأحيان هم فرسان يشاركون فيها.

نريد في هذا البحث الأدبي الوجيه أن نقف على زمان الليل وعلاقته بظروف المعركة في الشعر، من خلال دواوين أصحاب المعلقات، من لحظة تبييت النية بها والاستعداد لها، ثم إلى مسير لها في ليل. ويتنقل بعد ذلك إلى ملابسات المعارك الليلية، وما تقول إليه من نتائج تضم حالين متناقضتين، بين فوز وبطولة، وانكسار وبين موت وآلام. ونقف أخيراً على حال الفرسان من قوم الشاعر أو ممدوحيه، إثر ذلك، وهم عائدون أو واصلون إلى مساكنهم مكّللين بالنصر.

1- الاستعداد للحرب

تتكامل الوظائف النفسية إزاء كل فعل يتهيأ الإنسان لأدائه، حتى إذا

دعى داعي الجسد للعمل خفّ لتلبيته في أقصى طاقة، تلتحم فيها قوى الجسم بتوفّر الأعصاب وحضور الفؤاد. لم يكن العربي يُقدم على غزوه اعتباطاً من دون تخطيط سابق وتجهيز، وكان راضياً إذ يقضي ليله متيقظ الجسم، ممتلئاً بتوتر إيجابي يمنحه قدرة على صدّ العدوان المرتقب، أو المضي للإغارة الكاسحة على الخصوم. لقد سخّر العربي الليل من إحدى زواياه للتأمل في حاله مع خصومه وأصحاب وتره، وكثيراً ما قاده الليل بصفائه وهدوئه - وهو خلاصة مشاعر لأحداث فائتة - للتفكير في خطط عملية للإغارة عليهم والإيقاع بهم، بغض النظر عن مدى مشروعية هذه الحرب، والأسباب من ورائها. إننا نلمس من حديث الشعراء إيماناً كبيراً بما يصنعون، كما أنهم يستجرون السامع للتعاطف معهم ومع أقوامهم، في غمرة الأبيات الحماسية اللاهبة.

لقد وصف الشعراء أحوالهم النفسية والجسمية قبيل المواجهة، وكشفوا ما حيك من تدبير أو نوايا بالليل من طربي القتال؛ فإذا أتوا على ما كان منهم أو قومهم صوّروه عزيمة وتجشماً جميلاً، وإذا كان من العدو جعلوه تبيئاً بغدر ونذيراً بالخذلان والهزيمة!

هذا عنتره يصرف النوم عن عينيه همّ في رد كل كتيبة تغير عليه، فيظل ساهراً موجع العينين، ومن مثل عنتره يصبر لهذا الألم الثقيل؟ يقول¹:

بَرَّحَ بِالْعَيْنِينَ كُلُّ مَغِيرَةٍ أَسْنَتْهَا مِنْ قَائِي الدِّمِ تَرْدُمُ²

لم تكن خلافاته مع قومه سرّاً، فرمى نأى لذلك بنفسه واعتزل قبيلته حيناً، أو تشاغل لهمّه برحلة هنا أو هناك. لكنه في الحقيقة ظل مرتبطاً في أعماقه بالعشيرة، وفيها غيوراً على مصالحها، لا يلبث أن يطلّ مشرفاً على الديار كلّ ليلة، متأهباً للذب عنهم إن حلّ بأرضهم عدو. يقول³:

سَأْرَحِلْ عَنْكُمْ لَا أَزُورُ دِيَارَكُمْ وَأَقْصِدُهَا فِي كُلِّ جُنْحِ ظِلَامٍ

إن استجابته للشعور بالكرامة أولى عنده من راحة جسمه، ومهما أصابه من أذاهم فسيظل مرتبطاً بهم حامياً لهم، يسهر ليله ليضمن نومهم وسلامتهم. يقول⁴:

وكيف أنام عن سادات قوم أنا في فضل نعمتهم ربيث

وهو إذ يخلط ليله بنهاره، ويقضي ليله في رباط وتربص بالأعداء؛ يجد في نفسه أهلاً لتوجيه بعض النصائح التي لا يستغني عن التمثل بها كل فارس حقيقي، متأهب للقاء العدو، لا يكسل عنه، ولا يستبدل أحلام النوم ولذته بالترقب على كل مرصد. يقول⁵:

فعالج جسيمات الأمور ولا تكن نكيث القوى ذا نهمّة للوسائد

أما امرؤ القيس فيراوده شعور بالتعاضم والقوة، إذ تقضي ناقتة ليلتها في أكل وراحة على طريق سفر مخيف، بينما يبث متكئاً على متاعه، جاعلاً سيفه الصارم وسادة قريبة فينتضيه في أي لحظة يفاجئه فيها عدو أو خطر داهم. يقول⁶:

فبيثن ينهسن الجبوب بها وأبيت مرتفقاً على رحلي
متوسداً عضباً مضاربه في متنه كمدبّة النمل

لقد كان الليل عند العرب مظنة خوف وترقب للمجهول، ولذلك فخر شعراؤهم بارتقاء المراقب والمرصد التي ينظرون أو يحسون منها قدوم العدو. لكن بعض مواقع المرتفعات على ما يبدو يظل ثغراً يحمل القلق مادام للشمس ضياء، فإذا أفلت وحلّ الظلام صارت آمنة، لا يُحشى منها طارق غفلة. هذا ما يؤكد كلام امرئ القيس، بعد أن وقف مشرفاً فوق مرقبة في أعلى جبل، وجعل يقلب طرفه يرقب أي عدو يأتي من كل ناحية، فلما حلّ الظلام قفل راجعاً إلى أهله. يقول⁷:

ومرقبة كالزجج أشرفت فوقها أقلب طرفي في فضاء عريض⁸
فلما أجنّ الشمس عني غياؤها نزلت إليه قائماً بالحضيض

لكن الأعشى يُعجب بعزيمة ممدوحه، ويقظته فوق المراسد التي يعلوها، ساهراً متحفزاً لمواجهة الأعداء. يقول⁹ :

فما وجدتك الحرب إذ فُرَّ نأجها على الأمر نَعاساً على كلِّ مرصد¹⁰

والأعشى يندد بظلم الأعداء وائتمارهم ليلاً، حيث باتوا ساهرين يدبرون ما عزموا عليه من الإغارة على قومه. لكن هذا كله لم ينفعهم في شيء حين أقبلوا في ضوضائهم وجلبتهم، فقد كان الموت في انتظارهم. يقول¹¹ :

فباتوا ليلهم سمراً لئسُدوا غبَّ ما نجما¹²

فعبَّوا نحونا لجياً يهْدُ السهل والأكما¹³

فلاقى الموت مكتنعاً ودُّهلاً دون مازعما¹⁴

ومثل هذا شعر للحارث بن حلزة، يعاتب فيه قوماً كان بينهم وبين قومه مودة، فعَدوا عليهم وجاروا، ودبروا أمر الهجوم عليهم ليلاً، ثم أصبحوهم بوضوء القتال وصياح الرجال، فلم ينل ذلك من قوم الشاعر. واللافت هو نظرة أكثر حكمة ونبلاً في أفق إنساني عالٍ؛ إن الحارث لم يصف ما حل بأصدقاء الأمس وخصوم اليوم بعد الهجوم، واكتفى بوصفهم بالإخوة الظالمين. يقول¹⁵ :

إن إخواننا الأراقم يَغْلُو نَ علينا في قيلهم إحقاء¹⁶

أجمعوا أمرهم عِشاءً فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

أما طرفة بن العبد فيؤكد أن ليل الراصد، وإن كان مضمخاً بمعاني البطولة والفداء، لكنه لا ينفي الخوف والقلق؛ إنه يدهش من خوف صاحبه مع أنه لا يبيت حارساً على مرصد. يقول¹⁷ :

وجاشتْ إليه النفسُ خوفاً وخالَهُ مُصاباً ولو أمسى على غير مرصد¹⁸

لكن ممدوح النابغة لا يقنع إلا بأن يمضي ليله موتوراً متعطشاً للارتواء من دماء الأعداء، ممتلئاً شجاعة وتصميماً. ولو لم تملأ هذه الحمية فؤاده لنام مشرد النفس ذليلاً. يقول¹⁹ :

ويأبى له الذلَّ أنفٌ لم يُسَمَّ رَعْمًا والبيضُ مشحودَةٌ والخيلُ والأسلُّ
حتى يبيتَ شريدَ النفسِ أو لحمًا على سريِّ دمٍ من معشرٍ قُتِلوا

2- المسير إلى الحرب

ذكرنا أن الزمن التقليدي المفضل لخروج الجيش هو الليل، حيث يقدر الغزاة المسافة إلى عدوهم، بعد أن يتجهزوا مساءً وיעدوا خيلهم وسلاحهم، ويمضون من ليلتهم متسترين بالظلمة حتى يغيروا صباحاً قبل طلوع الشمس، وهم يباغتونهم رقوداً غافلين، ويُعملون فيهم السيف ويجنون الغنائم ظافرين. ولعلمهم يصلون في جوف الليل، فينتظرون إلى قريب الصباح حتى تتبين معالم الأشياء، فيتسنى لهم الإبصار وجمع الأسلاب بعد الفوز المأمول. وقد نقل الشعر تفاصيل الإعداد والمسير بالليل تحت غرضين رئيسين هما المدح والفخر.

هذا الأعشى يعجبه الممدوح بإيثاره الخروج غازياً على لذة النوم في الفراش، إذ يستولي عليه همّ الغزو، فيتجهز ويخرج، لا يثنيه عن عزمه سواد الليل، ويثير لفرط نشاطه قضا الصحراء الراقدة في مكانها. يقول²⁰ :

إلى ملكٍ لا يقطع الليلُ همُّهُ خَروجِ تروكٍ للفراشِ الممهَّدِ
طويلِ نجادِ السيفِ يبعثُ همُّهُ نيامَ القطا بالليلِ في كلِّ مهجَدِ

والممدوح يقود الخيل في حربه الضروس بعد مسير طويل في الليل، يستنفد طاقة رواحله، ويسهرها حتى تغور أعينها، وتتضعض قواها، وتحف ضروعها. يقول الأعشى²¹ :

وتَقْوادُهُ الخيلَ حتى يطو لَ كَرُّ الرواةِ وإيغاهُ²²
إذا أدجوا ليلةً والركا بٌ حُوصٌ تَحْضُضُ أشواها²³

وتسبق هيئة الممدوح وخشيته إلى عدوه، فيبيتون ليلتهم بجيشهم مذعورين، ينتظرون الصباح ليروا ما يحلُّ بهم. يقول²⁴ :

مَقادَك بالخيلِ أرضَ العدو و جُدَعانها كلفيظ العجم²⁵

وجيشهم ينظرون الصبا
 ح فاليوم من غزوة لم تخم²⁶
 يبدو أن إقامة الغازين آخر الليل على تخوم عدوهم، لا تمنع إنشغالهم
 ببعض الأعمال الطبيعية والشؤون الشخصية، وربما كان بين المقيمين أناس
 مستيقظون يتبادلون أحاديث وجدالاً، ولا يغير هذا من النتيجة التقليدية وهي
 الهجوم أول الصباح. يحدثنا الأعشى عن زرقاء اليمامة وهي تحذر قومها من عدو
 متربص، لأنها أدركت بحديد بصرها رجلاً يتذوق لحماً أو يخصف نعلًا، لكنهم
 ينكرون عليها ما يظنونه وهماً وخيالاً، فإذا بهم يفاجؤون بالخيال مصبحين. يقول
 الأعشى²⁷:

قالت: أرى رجلاً في كفه كتفٌ
 أو يخصفُ النعل لهفي أيةً صنعا
 فكذبوها بما قالت فصبّحهم
 ذو آل حسان يزجي الموت والتسرعاً²⁸
 أما عنتره فيؤكد قيمة الشجاعة والهمة إلى الخروج ليلاً، من خلال دعوته
 إلى نوم يخلو من أسباب الدعة والركون، كما يقرن دعوته باحتقار مشاعر الحنين
 والبكاء على الأطلال. يقول²⁹:

ولا تختر فراشاً من حريرٍ
 ولا تبك المنازل والبقاعا
 ويضرب للهمة مثلاً بنفسه، فكم من ليلة سرى فيها لقتال عدو! فما
 أصبح إلا وقد اقتحم الحصون. يقول³⁰:
 فكم ليلٍ ركبثُ به جواداً
 وقد أصبحتُ في حصنٍ حصينِ
 ويفخر بأنه قاد أصحابه بعد أن استبد بهم النعاس، فلم يجدوا إلا أن
 يطيعوه، فسرى بهم في قلب الظلام، حتى تلقاه الأعداء منتظرين قبل حرّ الظهيرة.
 يقول³¹:

وصحابةٍ شَمَّ الأنوف بعثتُهم
 وسريتُ في وَعَثِ الظلام أقودهم
 ليلاً وقد مال الكرى بطلاها³²
 حتى رأيت الشمس زال ضحاها
 ولقيت في قُبُل الهجير كتيبةً
 فطفئت أول فارسٍ أولها³³

ولا يفقد عنتره الفارس والشاعر حس الإنسان الفنان، حين يطلب من
فرسه المضي من سير الليل ألا يأخذه النعاس والخمول بعد أن التقى الجمعان.
يقول³⁴:

وقلت لمُهرى والقنا يقرع القنا: تنبّه وكن مستيقظاً غير ناعس
أما النابغة فيكرر في الممدوح نعتة بالنفور من راحة النوم، حباً في الخروج
إلى العدو، وتعبيراً عن الشجاعة وعلو الهمة. يقول³⁵:

إلى ماجدٍ ما ينقض البعدُ همَّهُ خروجٌ تروكُ للفراس المهَّـدِ
ويعجبه منظر الجيش المهياً مساءً للانطلاق في رحلة الليل إلى العدو،
وقد انتشر، فبدا كل شيء إلى جواره ضئيلاً. يقول³⁶:

لجأؤوا بجمعٍ لا يرى الناس مثله تضاءل منه بالعشي فُصائره³⁷
ويقبل الممدوح إلى بطن واد بخيله المشعثة، لم ينل منها مشقة المسير، فما
زالت كأنها الحدأ في سرعتها ولا تكاد تمس أقدامها الأرض؛ تسير على خطا
الأدلاء وعيون الطريق، فتقترب رويداً رويداً من ديار العدو في ذلك الليل الطويل،
بينما هم يغطون مطمئنين في نوم عميق. يقول³⁸:

فأوردَهْنَ بطنَ الأثمِ شُعثاً يصنُّ المشي كالحدأ التُّؤام³⁹
على أثرِ الأدلةِ و البغايا وخفقِ الناجيات من السَّامِ
فباتوا ساكنين وبات يسري يقربُهُ لهم ليلُ التَّمامِ

والواقع أن الممدوح قد يزيد في تصوير منعته وعزته أنه يسير بجيشه
الجرار، فيذعر الحيوانات في كئسها لكثرة جلبته، ولا يبالي أن يسير معلناً عن
وجهته، ولا يتوخى التستر خشية انتباه العدو، لأن مصيرهم واحد هو الهزيمة، ولذا
تحفّ أضواء المشاعل بالجيش ويسطع نورها، حتى إن المسافر يستهدي بها في
طريقه. يقول⁴⁰:

حتى استقلَّ بجمعٍ لا كفاء له ينفي الوحوش عن الصحراء جرّار

لا يخفض الرِّزَّ عن أرضٍ ألم بها ولا يضلُّ على مصباحه الساري⁴¹
 ولا يعيب النابغة أن يمدح ملكاً أغار على قومه، كي يفتدي بحسن
 الكلام ولطيف الأسلوب من وقع في يد ممدوحه من الأسرى والسبايا. هاهو ذا
 يحدث عن إعجابه بجيش ابن جُلاح الكلبي لما أغار بجيشه على بني ذبيان،
 فيصف مسيره الطويل بالليل إليهم، وقد أقض مضاجع القطا بضحيجه وشدة
 وقعه على الأرض، حتى بلغهم صباحاً، وأسعده الحظ بالنصر. يقول⁴² :

وأرعن مثل الليل يستلب القطا أفاحيصه بالجوّ من كلِّ مَهْجِدِ
 مطوت به حتى تصون جيادُه ويرفض من أعلاقه كلُّ مزفِدِ
 صبحت بني ذبيان منه بغارة جرت لك فيها الساعات بأسعدِ

أما ليبد فممدوحه مشمّر الإزار، يركب فحمة الليل وسواده لغزو عدوه،
 أو لسوى ذلك من حاجته، فكأن عينه مكحولة بالإنمذ. ويصبح نهاره لم يؤثر فيه
 إرهاق الليل ومسيره. يقول⁴³ :

كَمِيشُ الإزار يَكْحَلُ العين إنمدا سراه لك فيها ويضحى مُسْفِراً غيرَ واجمِ
 وهو بالمقابل يصور مهجويّه في أزرى صورة، حين يجعل من الأفراس رمز
 الخروج للقتال طعاماً لبناتهم، بسبب فقرهم وذلمهم. وإذا خرج الأبطال إلى لقاء
 عدوهم بالليل كان أولئك منصرفين لجرّ جماهم مسالمين مستضعفين. يقول⁴⁴ :

تقوت أفراسهم بناهم يُزجون أجمالم مع الغلسِ

أما زهير بن أبي سلمى فيحدث عن جيش الممدوح؛ أنه إذا سرى ليلاً لم
 يكن في الرجال ضعيف مهزول، بل أبصرت كلّ صابر متماسك حاشد السلاح،
 فلما أضاء الصبح أناخ الإبل وتأهب للفارة. يقول⁴⁵ :

إذا أدجوا لحوال الغوا ر لم تُلفَ في القوم نكساً ضئلاً⁴⁶

ولكنّ جلدًا جميع السلا ح ليلة ذلك عَضّاً بسِلا⁴⁷

فلما تبلّج ما فوقه أناخ فشَنَّ عليه الشَّليلا⁴⁸

ونقف أخيراً على وصف لفرسان الممدوح عند طرفة بن العبد، حيث يشبه خوذات الحديد فوق رؤوسهم قبل الإغارة بالغدد المنتفخة في الجسم. ولا ندري تماماً وجه الفضل أو قيمة المدح في هذا التشبيه ! ربما تثير الرعب في نفوس الأعداء فضلاً عن أنها تؤمن الحماية للابسيها. يقول⁴⁹:

كأن بيض الدارعين على رؤوسهم قبل الصباح جُدز

3- خوض المعركة وآثارها

تبدأ الحرب التقليدية قبيل الصباح ثم يطول وقتها أو يقصر، وقد يمتد إلى مغيب الشمس أو بعد ذلك. ليس هذا شأن المعارك دائماً فالقتل لا يختص بساعة من ليل أو نهار، والشعر يحدثنا عن مواجهات كانت في سائر الساعات، وما يعيننا هو صلة المعركة بدايةً أو نهايةً بظلام الليل.

هذا عنتره يحدث عن فرس يركبه، فيمخر به عباب الجموع ويغزو القبائل، حتى إنه يستطيع أن يبلغ هودج النساء الحصينة، في صباح ومساء. يقول⁵⁰:

جوادٌ إذا شقَّ المحافلَ صدره يروح إلى ظعنِ القبائل أو يغدو

وهو متعطش إلى أن يضرب برمحه في صفوف العداء ليلاً ونهاراً، فكأنما يشرب أو يروي رمحه من دمائهم. يقول⁵¹:

وكاساتُ الأسننة لي شرابٌ ألدُّ به اصطباحاً واغتباقاً

وإذا حمل هذا الرمح إلى عدوه ليلاً لمعت حديدته لصفائه وحدته. إن عنتره لا يدخر في فخره شيئاً من أدوات حربه. يقول⁵²:

ومُطرَّدُ الكعوبِ أَحَصُّ صدقٌ تخال سنانُهُ بالليل نارا⁵³

ويتخيل عنتره في نشوة أن لو ضرب بسيفه الباتر سواد الليل الرهيب لأذعره وجعله يولي هارباً، فيتعثر في سرعة جريه بنجوم السماء ! يقول⁵⁴:

بصارم عزم لو ضربتُ بحدّه دجى الليل ولّى وهو بالنجم يعثرُ

وهو يوجه إلى خصمه الفارس طعنة نافذة يتدفق منها دمه، ويصدر لها صوتٌ يهدي إلى صاحبها بالليل السباع الجائعة. يقول ⁵⁵ :

بِرَحِيبةِ الفرغين يهدي جَرُسُها
بالليل معتسّ الذئابِ الصُّرْم ⁵⁶

ويعضي بالكتيبة من أصحابه إلى الغزو، يحملون الرماح بأيديهم، كأنها مصابيح تنوقد في ظلمة الليل، لشدة ما تبهر العين وتأخذ بالفؤاد. يقول ⁵⁷ :

شهُبٌ بأيدي القابسين إذا بدتْ
بأكفهم بهر الظلام سناها

صحيح أن عنزة يفخر بشجاعة أصحابه وقفعة أسلحتهم، لكننا نعتقد أن هذا يصب في فخره الفردي، خصوصاً إذا لاحظنا أنه يصور نفسه القائد غالباً، وأن فخره الشخصي بفروسيته قد غطى على سائر أغراضه الشعرية. هاهوذا يخبر عن غارة سيقوم بها كلّها، فيطيح بالرؤوس ويحطمها، وتتحرك لذلك شهوة القتال في أعصابه. يقول ⁵⁸ :

ولقد هممتُ بغارةٍ في ليلةٍ
سوداءٍ حالكةٍ كلون الأدم ⁵⁹

أيقنتُ أن سيكون عند لقائهم
ضربٌ يُطير عن الفراخ الجُثم ⁶⁰

ويريد أن يستثير إعجاب محبوبته عبلة فيروي لها بعض أخبار بطولانه، فقد هاجم بني كندة ليلاً فأحدث الرعب والضجيج في الأفراس، كما بعثر الفرسان وشتت جموعهم في المرتفعات بطعنات متتابعة. يقول ⁶¹ :

طرقْتُ ديار كندة وهي تدوي
دويّ الرعد من رُكْد الجياد ⁶²

وبَدَدْتُ الفوارس في زُباها
بطعنٍ مثل أفواه المزاد ⁶³

ويطلب من رمح شهيداً لعبلة يصف بسالته وقوده الشجعان، حين هاجم بني تيم ليلاً، فتوسط معمعتها، وتراكضت الخيل من حوله، بينما تتسابق يداها في المعركة إلى السيف والرمح حين يفتك بالأعداء. يقول ⁶⁴ :

بأني قد طرقْتُ ديار تيمٍ
بكلِّ غضنفرٍ ثبت الجنان ⁶⁵

وخضتُ غبارها والخيلُ تهوي
وسيفي والقنا فرسا رهان

ويرجو من أعدائه شهيداً عندها على فعله، حين طرقتهم قوم الشاعر على
خيول مدربة ماهرة كأنها الغيلان، وقد ركبها الفرسان الأشداء ذوو البأس، لكنهم
نالوا جزاء غزوهم على يد عنزة. يقول⁶⁶:

سليهم كيف كان لهم جوابي إذا ما قال ظنك في مقالي⁶⁷
أتونا في الظلام على جياذ مضمرّة الخواصر كالسعالِي
وفيهم كلُّ جبارٍ عنيدٍ شديدِ البأسِ مفتولِ السِّبالِ⁶⁸

لم يقتصر فخر عنزة ببراعة القتال وشدة الحول على نفسه، بل وردت
شواهد على فخره - كما أسلفنا - بشجاعة قومه بني عبس وصبرهم على
القتال. وهو يخبر عن إغارة شنوها منذ الصباح، فأعملوا النهب و الأسر حتى عمّ
سواد الليل. يقول⁶⁹:

صبحناهم بالحنو خيلاً مُغيرَةً فما برحت تحوي الأسارى وتسلّب
لذنّ ذرّ قرن الشمس حتى تغيّبت وأقبل ليل يقبض الطرف غيهب⁷⁰

وبدل أن تبدأ المعركة قبيل الصبح ربما صارت مشاهد الخاتمة في ذلك
الوقت، فلعلها كانت أشبه بغارة خاطفة أو أنها بدأت في قلب الليل. يقول⁷¹:

وحلينا نساءهم حيارى قبيل الصبح يلطمن الخدودا

وينتشر صيت عنزة في الآفاق، فيستولي الخوف على القلوب من حد
سيفه، ويقضي الناس ليلهم في أخبار بطولاته ومعاركه. يقول⁷²:

ملأت الأرض خوفاً من حسامي فبات الناس في قيلٍ وقالٍ

أما الشاعر الأعشى فيشكر ممدوحه بعد أن صحبه في بعض غاراته
بمكان اسمه لعلع، وتعرض للوقوع في الأسر، حتى أنقذ مع صحبه بدخول الممدوح
عليهم آخر الليل مظفراً، فسجدوا له شكراً وتعظيماً، رافعين أيديهم بتحية الملوك
هاتفين بطول حياته. يقول⁷³:

فيالليلة لي في لعلع كطوف الغريب يخاف الإسارا

فلما أتانا بُعيد الكرى سجداً له ورفعنا عمارة
ويتهدد الأعشى أقرباء قومه، أولاد عمومته، وقد تهادوا في الشر فكاد
الصبر أن ينفد، وتراءى للشاعر أنهم لن يكفوا ويرعوا حتى تنكسر بينهم رماح
وسيوف، وحتى يبيت القوم في قتال مرير، وقد شُدت رؤوسهم فوق أكتافهم
شداً. سيقولون مجتهدين والكرب عاصفٌ بهم: نور أيها الصباح! كي ينصرف
الجمعان. والليل جاثمٌ طويل لم ينته إلا أقله. يقول⁷⁴:

ولن تنتهوا حتى تنكسرَ بيننا رماحٌ بأيدي شُجعةٍ وقوائم
وحتى يبيت القومُ في الصف ليلةً يقولون نورٌ صُبُخٌ والليلُ عاتمٌ
وقوفاً وراء الطعن والخيلٍ تحتهم تُشدُّ على أكتافهنّ القوائم⁷⁵

سيؤول أمرهم - ما لم ينتهوا - إلى حرب تهيج بها إبلهم السارحة في
مرعاهما، ويُفريق النائمون من سباتهم بالطعنة النافذة، يندفع منها الدم حتى يغشى
فُرشهم، ويبت فيها المطعون قد أوقدت من حوله النار. وتسي فيها النساء،
فتصير السيدة الكريمة خادمة ابنة عمها، ممتهنة مبتذلة كفعل الخدم والإماء.
يقول⁷⁶:

أبا ثابتٍ إنا إذا تسبُّفنا سيُعدُّ سرحٌ أو يُنبَّه نائمٌ
بمُشعلَةٍ يغشى الفراشَ رشاشُها يبيتُ لها ضوءٌ من النار جاحمٌ⁷⁷
تقرُّ به عينُ الذي كان شامتاً وتبتلُّ منها سُرةٌ وماكمٌ⁷⁸
وتُلْفى حصانٌ تخدمُ ابنةَ عمِّها كما كان يُلْفى الناصفاتُ الخوادمُ⁷⁹

ويتأمل الأعشى بتدبرٍ قصر(الحضر)، بعد أن دهمه (سابور) بجنوده،
وراحوا يعملون فؤوسهم فيه عامين كاملين. وحاول صاحبه استنقاذه وتحريره،
فهاجمه ليلاً ترقباً لغفلة وفتح من ساكنيه على غير طائل. ويريد الأعشى أن يخرج
بحكمة يوجهها لقومه، مفادها أن الموت خير من حياة الذل. يقول⁸⁰:

أقام به شاهبورُ الجنو دَ حولين تضربُ فيه القدمُ

فلما رأى رؤيه فعَلَهُ أتاه طُروقاً فلم ينتقم
وكان دعا رهطه دعوةً هَلَمَّ إلى أمركم قد صُرِم⁸¹

أما لبيد فنجده يفخر بوقعة ليلة العرقوب، حيث لم تكن الحرب مفاجأة لأحد، وقد ألحق قوم الشاعر فيها هزيمة نكراء بأحياء مجتمعين من العرب. يقول⁸²:

فصَلَقْنَا في مرادٍ صَلَقَةً وصداءٍ، ألحقتهم بالثَّلَل⁸³
ليلة العرقوب لما غامرت جعفرٌ تدعى ورهطُ ابنِ شَكَل⁸⁴

وفخر بإيقاعهم بخصومهم في أيام كثيرة، آلت مساءً إلى هزائم منكرة حاقت بهم، وراحوا يجرون جرحاهم وهم في الرمق الأخير. يقول⁸⁵:

ولقد بَلَّتْ يومَ التُّخَيْلِ وقبله مَرَّانٌ من أيامنا وحرِيم⁸⁶
فارتتْ كلماهم عشيبة هزيمهم حيٌّ بمنعرج المسيل مقيم⁸⁷

أما النابغة الذبياني فيمدح حصناً الفزاري، إذ يلي من يستنجد به من أحياء العرب إذا طرقتهم عدو غاز، فلا يكون ناعساً متكاسلاً. يقول⁸⁸:

وما بَحِصنِ نِعَاسٌ إذ يَنْبَهُهُ دعاءٌ حيٍّ على الأمرار محروب

ويعنّف خصمه ويزجره، مبيناً لو أن فرسان قوم الشاعر حضروه، في أماكن ذكرها له، لكان مصيره الهلاك في وثاق الأسر، أو لأقام أسيراً ينام من دون وسادة أو لا ينام. يقول⁸⁹:

لو عَايَنْتُكَ كُمَاتِنَا بطُوالِةٍ بالحزوريةِ أو بلابنةِ ضرَعَدِ
لتويتَ في قِدِّ هِنَالِكَ مُوثِقاً في القومِ أولثويتَ غيرِ مَوْسَدِ

ويتصور الشاعر الدهر - في حكمة ونظر - سبعا مفترساً أو مقاتلاً فذاً، لا ينام على ثأر له عند الناس ولا يصيبه أحد بشيء. سينال من ذوي الشرف والرياسة، ويشتد عليهم كأنه ذئب، ويرميهم بنبال الموت والمصائب التي لا تخطئهم، فيبيتون ليلتهم هالكين. يقول⁹⁰:

مَنْ يَطْلُبِ الدَّهْرُ تَدْرِكُهُ مَحَالِبُهُ والدهر بالوتر ناجٍ غيرٌ مطلوبٍ
 ما من أناسٍ ذوي مجدٍ ومكزُمةٍ إلا يشدُّ عليهم شدَّةُ الذَّيْبِ
 حتى يبيت على عمُدٍ سرَّاهُمُ بالنافذات من النَّبْلِ المصاصيبِ⁹¹

أما عمرو بن كلثوم فيهجو أحياءً من العرب، حين يذكرهم بأن قومه
 صدّوا عنهم، وأنجدوهم في ليالٍ شديدةٍ كاد أعداؤهم أن يسحقوهم فيها؛ وإذا بهم
 ينسون فضلهم بعد ذلك، ويتنكرون لجميلهم ويأخذهم اغترار وجهل. يقول⁹²:

ونحن ليالي الأفيهار فيهم يُشَدُّ بها الأقدَةُ والحُصُورُ⁹³
 كشفنا الخوف والسَّعياتِ عنهم فكيف يُغرُّهم منا الغرورُ؟⁹⁴

ويسخر شامتاً من أعداءٍ لقومه، باغتوهم بهجوم آخر الليل، وظنوا أن
 سينالون منهم. وكانوا في حلولهم أشبه بطوارق الضيوف، فأدى قوم الشاعر
 واجب الإكرام نحوهم، وقدموا القرى بجيشٍ عرمرم طحنهم طحنَ الرحي. يقول⁹⁵:

نزلتم منزل الأضيافِ منّا فعجّلنا القرى أن تشتمونا
 قريناكم فعجّلنا قراكم قبيل الصبح مرداةً طحونا

أما امرؤ القيس فيحترق قلبه أسى على من يسميهم ملوكاً ذاهبين من
 بني حجر بن عمرو، من آل أبيه، إذ يساقون عشيةً إلى القتل. ولو أنهم قُتلوا في
 المعارك لكان الخطب أهون، ولكن في ديار بني مرين من أهل الحيرة. يقول⁹⁶:

ملوكاً من بني حُجر بن عمرو يُساقون العشية يُقتلونا
 فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا

ويفخر في مقام مواجهة لخصمه بأنه شديد جفن العين لا ينام، فإذا نام
 أصحابه نهبهم؛ وأغار على أعدائه مستقبلاً لهم بوجوههم، ولا يأخذهم على غرةٍ
 لاقتداره عليهم. يقول⁹⁷:

وأنا المنبه بعد ما قد نؤموا وأنا المعالين صفحة النؤام⁹⁸

أما طرفة بن العبد فتطول معركة قومه مع عدوهم، لكنها تنتهي بالفوز، ثم رجوع القوم غداة اليوم الذي بعد يوم الحرب، وقد حملوا الأسلاب والغنائم والسبايا، بفضل من فيهم من أبطال شجعان صناديد. يقول⁹⁹:

ففئنا غداة الغيبِ كلَّ نقيذةٍ ومنا الكميِّ الصابر المتعرِّف¹⁰⁰

يتجلى الأثر الأخير للحرب التي يصورها الشاعر في انقضاء القتال، وبدء الانسحاب المظفر، من أرض المعركة التي تنتهي في كثير من الأحيان آخر النهار، ويصور الشعراء رجوع قومهم أو رجوع الممدوح ليلاً إلى الديار، بعد نصر مبين وفوز بالأسلاب والأسرى والسبايا. ونلاحظ تلازماً ما بين العودة والانتصار على الأعداء في فخر أو مديح.

يحدث لبيد عن خاتمة إحدى المعارك التي انتصر فيها قومه، حيث حلّ عليهم المساء وهم عند موضع اسمه جسداء، وراحت الكلاب تنبحهم بينما هم مشغولون بنقل السبايا جماعات جماعات، كما ينقل النصيب. يقول¹⁰¹:

فبتنا حيث أمسينا قريباً على جسداء تنبحنا الكليبُ
نقلنا سبيهم صرماً فصرماً إلى صرِّم كما نُقل النصيبُ

فيذا أبوا ليلاً من غزوهم كان مرجعهم ومثابهم إلى خيل أصيلة ذات نسب، ولم يحتاجوا هنالك إلى سيوف تحميهم!؟ يقول¹⁰²:

معاقلنا التي نأوي إليها بناث الأعوجية لا السيوف¹⁰³

أما عمرو بن كلثوم فيفخر بنصر لقومه حين استطاعوا أن يقتلوا من ركاب العدو سبعين جحشاً، ولى أصحابها مدبرين أذلاء كالإماء. ورجعوا بالإبل المتتالية التي أسروها وقادوها برماحهم الظامنة للدماء والحرب. ولا ندري في الواقع لماذا يقتل الغالبون هذه الجحاش بدل أن يقتادوها معهم؟ إلا أن تكون ركاب المقاتلين فيضطرون لقتلها. ولماذا يركب أعداؤهم الجحاش لا الأفراس إلا أن تكون علامة ذل أو فقر؟! يقول¹⁰⁴:

قتلنا منهم سبعين جحشاً وولّونا بأقفيصة الإماء
وأبنا بالهجان مُردّ فاتٍ وخطبناهنّ بالأسلِ الظّماء¹⁰⁵

ويشترك قومه مع أبناء عمهم في غزوة، فيعود بنو عمهم بالأسلاب والسبايا، أما هم فلا يلتفتون إلى شيء من ذلك، بل عمدوا إلى ملوكهم فقيدهم بأغلال الحديد ورجعوا بهم أسارى. إنهم أصحاب همة ماجدة يهتمون بالمعنويات، إذا كان غيرهم مهتماً بالماديات ! يقول¹⁰⁶.

فصالوا صولةً فيمن يليهم وصُلّنا صولةً فيمن يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصقّدينا

أما امرؤ القيس فيثير إعجابه منظر الخيول وقد اكتفت من القراع مساءً، فانسلت من غبار القتال وعلى ظهورها الفرسان لابسو الدروع، فتبدو ظباءً خفيفةً رشيقه. يقول¹⁰⁷:

يخرجن من حَلَلِ الغبارِ عشيةً بالدارعين كأنهنّ ظباءً

ويُعجب الأعشى بخيل الممدوح المضمره، إذ تظّل في الحرب نشيطة، كأنها تتبارى في إبداء القوة والحركة، ولا تأخذ حظها من السكون إلا بعد أن ترجع مساءً محملةً بالغنائم. يقول¹⁰⁸:

متبارياتٍ في الأعتة شرباً حتى تُفِيءَ عشيةً أنفأها¹⁰⁹

ويرجع ممدوح زهير مع الليل من الغزو وخيله مهازيل مشعثة متفرقة الأوجاع في أجسامها، بلا أرسان، لأنها لا تحتاجها من شدة الجهد والإعياء، بعد أن كانت سماناً ضخاماً قوية البنيان. وذلك من طول الغزو وبُعد الشقّة وهمة الممدوح. يقول¹¹⁰:

غزت سماناً فأبت ضُمرّاً حُدجاً من بعد ما جنبوها بُدناً عَقُفا¹¹¹
حتى يؤوبَ بها شُعثاً معطلّةً تشكو الدوابر والأنساء والصُفُفا¹¹²

ويعير الحارث بن حلزة بني تغلب بما أصابهم به بنو تميم، حين خلفوا

جمعهم قتلى متناثري الأشلاء، وغادروهم ليلاً محملين بالأسلاب الكثيرة التي
يُسمع لجرّها ضجيجٌ يملأ الفضاء. يقول¹¹³:

وثمانون من تميم بأيديهم رماحٌ صدورهنّ القضاء
تركوهم ملحّبين وآبوا بنهابٍ يصمُّ منها الحداءُ¹¹⁴

الخاتمة:

قمنا بجولة عامة في شعر أصحاب المعلقات، متلمسين أثر الليل في شعر الحماسة والحرب وسواه، ورأينا أن مساحة الليل تتصل بثلاث مراحل وقتية منها؛ وهي الاستعداد للحرب، ثم المسير إلى الحرب، وأخيراً خوض الحرب والعودة منها. وكل مرحلة منها ظهر بالاستقراء أنها غنيّة بتفاصيل الصلة بالليل؛ فالليل فسحة لإعداد خطط الهجوم وترتيبها، والشاعر -ومثله ممدوحه- يسهر حمايةً للقبيلة، ويسهر قائداً للخيل في مسير لأجل هجوم مباغت على الجيران والخصوم، وقد يسافر ويده على مقبض سيفه متيقظاً لأي عدوّ مفاجئ. ثم إن الهجوم يتم قريباً من الصباح في العادة، وليس هذا أمراً لازماً، فقد نقل الشعر لنا أخباراً عن معارك جرت في قلب الليل، ومهما يكن من أمر فإن الهجوم يلقي الرعب في قلوب الأعداء، والشاعر أو الممدوح منتصر دائماً في الحرب، قافل بالغنائم والسبايا مساء يوم القتال.

بقي أن نقول بعد هذا السرد الوصفي التوثيقي إن مادة القتال في تقاطعها مع زمن الليل هي مادة ثرة في الشعر، وهي تغري بالنظر طويلاً في أوصافها، وقد أضفى الليل على المعاني والصور الشعرية ألواناً متباينة من الإيحاءات النفسية التي تراوحت إيجاباً وسلباً بين الشاعر أو ممدوحه، وبين الأعداء الذين ينتصر عليهم وينكّل بهم دائماً.

الهوامش

- 1 شرح ديوان عنتر بن شداد: ابن شداد، عنتر، تح وشرح: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بلا تاريخ، ص 195. ديوان عنتر: ابن شداد، عنتر، تح: مُجَّد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي - الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، بلا تاريخ. ص 317.
- 2 تردم: تقطر.
- 3 ديوان عنتر: تح شلبي ص 166.
- 4 المصدر نفسه: ص 29.
- 5 ديوان عنتر: تح مولوي ص 334.
- 6 ديوان امرئ القيس: ابن حجر، امرؤ القيس، تح: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، 1958م. ص 237. شرح ديوان امرئ القيس: ابن حجر، امرؤ القيس، تح: حسن السندي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1373هـ-1953م. ص 168.
- 7 ديوان امرئ القيس: تح أبو الفضل ص 74، انظر: تح سندي ص 127.
- 8 الرِّج: رأس الرمح.
- 9 ديوان الأعشى الكبير: الأعشى، ميمون بن قيس، تح: د. م. مُجَّد حسين، مكتبة الآداب بالجمهورية، بلا مكان، بلا تاريخ. ص 191.
- 10 فر نأجا: فر الدابة أي فتح فاهها وكشف عن أسنانها ليعرف سنها.
- 11 المصدر نفسه: ص 301.
- 12 يسدون: يدبرون - غب: غب الشيء عاقبته - نجم الأمر: حدث وظهر.
- 13 غب: جاء زائراً بعد أيام - غبا إليه: قصد له - لجأ: كثيفاً له جلبه وضوضاء.
- 14 اكتنع: تقبَّض وانكماش - ذهل: بنو ذهل، وهم كانوا أحسن الناس بلاء في يوم ذي قار.
- 15 ديوان الحارث بن حلزة: ابن حلزة، الحارث، تح: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1411هـ-1991م. ص 23 - 24.
- 16 الأرقام: أحياء من بني تعلق - يغلون: يجاوزون الحد في ظلمنا - إحقاء: تكليف بما لا يطاق أو نقض للعهد.
- 17 ديوان طرفة بن العبد: ابن العبد، طرفة، تح: د. علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، بلا تاريخ. ص 45. ديوان طرفة بن العبد: ابن العبد، طرفة، شرح الأعلام الشنمزي، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1395هـ-1975م. ص 26.

- 18 خاله: ظن الصاحب نفسه.
- 19 ديوان النابغة الذبياني بتمامه: الذبياني، النابغة، صنعة ابن السكيت، تح: د. شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، 1968م. ص 244. ديوان النابغة الذبياني: الذبياني، النابغة، تح: مُجد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، بلا تاريخ. ص 210.
- 20 ديوان الأعشى: ص 189.
- 21 المصدر نفسه: ص 167.
- 22 إيغالها: مصدر أوغل: أبعد في السير.
- 23 أسؤال: ج شائلة: ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها.
- 24 المصدر نفسه: ص 37.
- 25 الجذع: ولد الشاة في السنة الثانية - لفيظ: ملفوظ - العجم: النوى.
- 26 خام: نكص وجبن.
- 27 المصدر نفسه: ص 103.
- 28 الشرع: ج شرعة: حباله الصياد.
- 29 ديوان عنتره: تح شلي ص 102.
- 30 المصدر نفسه: ص 181.
- 31 ديوان عنتره: تح شلي ص 184، تح مولوي ص 305 - 306.
- 32 بعثتهم ليلاً: حملتهم على السرى - الطلى: ج طلية: صفحة العنق .
- 33 أولاهها: مقدمتها، أراد من أولاهها، فحذف حرف الجر.
- 34 ديوان عنتره: تح شلي ص 94.
- 35 ديوان النابغة الذبياني: تح فيصل ص 247، تح أبو الفضل ص 212.
- 36 ديوان النابغة الذبياني: تح فيصل ص 208، انظر: تح أبو الفضل ص 153.
- 37 قصائره: أرض او جبل.
- 38 ديوان النابغة الذبياني: تح فيصل ص 163، انظر: تح أبو الفضل ص 134.
- 39 أوردهن: أقبل بخيله - الأتم: موضع - يصنّ المشي: يتوقن من التعب - كالحدا التوام: كالحدا في سرعتها إذا كانت اثنين اثنين فكّر كل واحد على صاحبه.
- 40 ديوان النابغة الذبياني: تح فيصل ص 83، تح أبو الفضل ص 77 - 78.
- 41 الرّز: الصوت.

- 42 ديوان النابعة الذبياني: تح فيصل ص 247، تح أبو الفضل ص 212.
- 43 شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ابن ربيعة، لبيد، تح: د. إحسان عباس، سلسلة التراث العربي / 8، وزارة الإرشاد والأبناء، الكويت، 1962م. ص 296.
- 44 ديوان لبيد بن ربيعة: ابن ربيعة، لبيد. دار صادر، بيروت، بلا تاريخ. ص 226.
- 45 شعر زهير بن أبي سلمى: ابن أبي سلمى، زهير، صنعة الأعلام الشنتمري، تح: د. فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، ط2، 1393هـ-1973م. ص 194. وانظر: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ابن أبي سلمى، زهير، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1384-1964م. ص 196 - 197.
- 46 حوال: مصدر حاول - الغوار: الغارة - النكس: الضعيف الذي لا خير فيه - الضئيل: المهزول النحيف.
- 47 عَضًا: صَدَقًا، جلدًا - بسيلًا: شجاعًا.
- 48 أناخ: الإبل - الشليل: الدر.
- 49 ديوان طرفة: تح الجندي ص 187، تح درية ولطفي ص 164.
- 50 ديوان عنتره: تح شلي ص 59.
- 51 المصدر نفسه: ص 114.
- 52 ديوان عنتره: تح شلي ص 76، انظر: تح مولوي ص 235.
- 53 مطرد: مستقيم - كعوب: عقدة ما بين الأبوئتين - أحصّ: املس - صدق: صلب، مستو.
- 54 ديوان عنتره: تح شلي ص 83.
- 55 ديوان عنتره: تح شلي ص 150، تح مولوي ص 210.
- 56 رحيبة: واسعة - الفرغين: مخرجي الدم - المعتس: الطالب بالليل - الضرم: الجوع.
- 57 ديوان عنتره: تح شلي ص 183، تح مولوي ص 304.
- 58 ديوان عنتره: تح شلي ص 153.
- 59 أدلم: شديد السواد
- 60 فراخ: ج فرخ: دماغ.
- 61 المصدر نفسه: ص 55.
- 62 ركذ: ركض.
- 63 المزاد: ج مزادة: قرية الماء.

- 64 المصدر نفسه: ص 181.
- 65 غضنفر: أسد، والمقصود شجاع.
- 66 المصدر نفسه: ص 137.
- 67 قال ظنك: شككت.
- 68 السبال: ج سبلة: ما على الشارب من الشعر، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها.
- 69 ديوان عنتره: تح مولوي ص 332.
- 70 ذرّ: ظهر - قرن: طرف - يقبض الطرف: يحسر النظر، كناية عن شدة الظلام - غيبه: ظلام.
- 71 ديوان عنتره: تح شليبي ص 56.
- 72 المصدر نفسه: ص 138.
- 73 ديوان الأعشى: ص 51.
- 74 المصدر نفسه: ص 77.
- 75 القوادم: ج القادم: الرأس.
- 76 المصدر نفسه: ص 81.
- 77 مشعلة: طعنة واسعة يتفرق منها الدم مندفعاً - جاحم: متوقد، يوقدون عند المطعون ليعرفوا حاله كلّ ساعة.
- 78 تقر: تبرد سروراً أو ترى ما كانت متشوقة إليه - تبتل: تقطع - مآكم: ج مأكمة: العجيزة، ويكنى بها عن المرأة. المقصود بقطع السرة والمآكم قطع الأرحام والقرابة.
- 79 حصان: سيدة كريمة - الناصفات: الخادמות.
- 80 المصدر نفسه: ص 43.
- 81 صُرم: انقطع وانقضى.
- 82 ديوان لبيد: ص 193.
- 83 صلقتنا: صحننا - الثلل: الهلاك.
- 84 غامرت: دخلت في غمرة القتال.
- 85 المصدر نفسه: ص 135 - 136.
- 86 بلت: جرّيت وخبرت - يوم النخيل: وقعة في وادي بطن النخيل.
- 87 كلامهم: جرحاهم - منعرج: منعطف.

- 88 ديوان النابغة الذبياني: تح فيصل ص 93، انظر: تح أبو الفضل ص 51.
- 89 ديوان النابغذ الذبياني: تح أبو الفضل ص 229.
- 90 المصدر نفسه: ص 227.
- 91 عمد: قصد - سراتهم: سادتهم - المصاصيب: القوية أو الصائبة.
- 92 ديوان عمرو بن كلثوم: ابن كلثوم، عمرو، صنعة: د. علي أبو زيد، دار سعد الدين، دمشق، ط1412هـ-1991م. ص 52.
- 93 الأقدة: ج القدّ: جلد السخلة - الأفهار: الأحياء.
- 94 السعيات: السّعة: الكسب.
- 95 المصدر نفسه: ص 98.
- 96 ديوان امرئ القيس: تح أبو الفضل ص 200، تح سندوبي ص 215.
- 97 ديوان امرئ القيس: تح أبو الفضل ص 117، تح سندوبي ص 203.
- 98 معالن: مستقبل - صفحة النوام: يريد وجوههم.
- 99 ديوان طرفة: تح الجندي ص 103، تح درية ولطفي ص 132.
- 100 نقيذة: كل ما يستنقذ من الآخرين - المتعرّف: الذي يعرّف نفسه في الحرب.
- 101 ديوان لبيد: ص 349.
- 102 المصدر نفسه: ص 351.
- 103 نبات الأعوجية: خيل منسوبة لفحل اسمه الأعوج.
- 104 ديوان عمرو بن كلثوم: ص 37 - 38.
- 105 الأسل: نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق، وأطلق على الرماح تشبيهاً به في اعتداله وطوله واستوائه ودقة أطرافه. وقيل هو كل ما أُرِقَّ من الحديد وحُدِّد من سيف أو سكين أو سنان.
- 106 المصدر نفسه: ص 94.
- 107 ديوان امرئ القيس: تح أبو الفضل ص 344، تح سندوبي ص 46.
- 108 ديوان الأعشى: ص 33.
- 109 شرباً: ج شارب: ضامر - الأنفال: الغنائم
- 110 ديوان زهير: ثعلب ص 50، انظر: الأعلم ص 73.
- 111 ضُمّراً: مهازيل - خدجت: إذا وضعت ولدها قبل وقته أوجاءت به ناقصاً - جنبوها: قادوها - بُدّن: ج بادن: ضخمة سمينة - عقق: ج عقوق: التي عظم بطنها.

112 يؤوب: يرجع مع الليل، ومنه قولهم: ثلاث مأوب أي ثلاثة أيام لاليل فيها. أكد هذا التفسير ثعلب، وهو المعنى الذي اخترناه لفعل يؤوب ومشتقاته، وإن أمكن أن يرد - بعد مرحلة من التطور الدلالي - بمعنى الرجوع مطلقاً - عوجاً: شعناً - معطلة: لا أرسان لها - الدوائر: مآخير الحوافر - الأنساء: ج النساء: عرق في الفخذ - الصفق: ج الصفاق: الجلد الذي دون الجلد الأعلى مما يلي البطن.

113 ديوان الحارث بن حلزة: ص 38.

114 ملحين: مقطعين - يصم الحُدَاء: لكثرة الإبل والضجة لا يُسمع حُدَاء الحداة.

المصادر والمراجع

1. ابن أبي سلمى: زهير، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى. الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1384-1964م.
2. ابن أبي سلمى: زهير، صنعة الأعلام الشنتمري، تح: د. فخر الدين قباوة. شعر زهير بن أبي سلمى. دار القلم العربي، حلب، ط2، 1393هـ-1973م.
3. ابن حجر: امرؤ القيس، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم. ديوان امرئ القيس. دار المعارف بمصر، 1958م.
4. ابن حجر: امرؤ القيس، تح: حسن السندوي. شرح ديوان امرئ القيس. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1373هـ-1953م.
5. ابن حلزة: الحارث، تح: د. إميل بديع يعقوب. ديوان الحارث بن حلزة. دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1411هـ-1991م.
6. الأعشى: ميمون بن قيس، تح: د. م. مُحَمَّد حسين. ديوان الأعشى الكبير. مكتبة الآداب بالجماهير، بلا مكان، بلا تاريخ.
7. الذبياني: النابغة، صنعة ابن السكيت، تح: د. شكري فيصل. ديوان النابغة الذبياني بتمامه. دار الفكر، بيروت، 1968م.
8. الذبياني: النابغة، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم. ديوان النابغة الذبياني. دار المعارف بمصر، القاهرة، بلا تاريخ.
9. ابن ربيعة: لبيد، تح: د. إحسان عباس. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري. سلسلة التراث العربي / 8، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1962م.
10. ابن ربيعة: لبيد. ديوان لبيد بن ربيعة. دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

11. ابن شداد: عنتره، تح: مُحمَّد سعيد مولوي. ديوان عنتره. المكتب الإسلامي - الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، بلا تاريخ.
12. ابن شداد: عنتره، تح وشرح: عبد المنعم عبد الرؤوف شليبي. شرح ديوان عنتره بن شداد. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بلا تاريخ.
13. ابن العبد: طرفه، تح: د. علي الجندي. ديوان طرفه بن العبد. مكتبة الأنجلو المصرية، بلا تاريخ.
14. ابن العبد: طرفه، شرح الأعلام الشنميري، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال. ديوان طرفه بن العبد. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1395هـ-1975م.
15. ابن كلثوم: عمرو، صنعة: د. علي أبو زيد. ديوان عمرو بن كلثوم. دار سعد الدين، دمشق، ط1412هـ-1991م.
16. المحاسني: د. زكي. شعر الحرب في أدب العرب. دار المعارف بمصر، القاهرة، ط1961م.